بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) ﴾.

سميت هذه السورة فاتحة الكتاب، وأم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثانى، ولقد سميت فاتحة الكتاب؛ لأنها أولى السور فى ترتيب المصحف الشريف، ولأنها أول ما يُقرأ فى الصلاة.

سُميت أم القرآن وأم الكتاب؛ لأنها تشتمل على أهم مقاصد القرآن، وهى توحيد الله الرحمن الرحيم، رب العالمين ـ وتأكيد البعث ليوم الحساب، يوم الدين، يوم يجازى الله الناس على أعمالهم فى حياتهم الدنيا، والإقرار بعبادة الله؛ بإتيان أوامره واجتناب نواهيه، والاستعانة به وطلب هدايته إلى الطريق المستقيم الذى يبينه شرعه، وهدايته لاجتناب الطرق الأخرى التى اتبعها المغضوب عليهم، والتى اتبعها الضالون.

وأما تسميتها بالسبع المثانى؛ فلأنها سبع آيات تتكرر فى كل ركعة فى الصلاة، وأقلها مرتان فى صلاة الصبح. وقد جاء عن الرسول (ﷺ) فيما يرويه عن ربه ـ تبارك وتعالى ـ: «قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل، فإذا قال العبد ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ قال الله: حمدنى عبدى! وإذا قال: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ قال الله: أثنى علىّ

عبدى، فإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال الله: مجّدنى عبدى، أو فوض إلىّ عبدى، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال الله: هذا بينى وبين عبدى، ولعبدى ما سأل، فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ قال الله: هذا لعبدى، ولعبدى ما سأل» رواه مسلم.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ البسملةُ تفتتح بها جميع سور القرآن إلا سورة التوبة، ويُستحب ذكرها فى بداية كل قول وعمل؛ لقوله (ﷺ): «كُلُّ أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أجذم» رواه الخطيب والرهاوى، أبتر أى مقطوع لا خير فيه ﴿اللَّهِ﴾ علمٌ على الذات العلية... فهو عند أكثر العلماء الاسم الأعظم لله تبارك وتعالى، وقد تكرر فى القرآن أكثر قليلاً من ٢٥٠٠ مرة ﴿الرَّحْمَنِ﴾ فعلان من رحم، وفعلان من صيغ المبالغة والتعظيم التى تصل بالمعنى المطلوب إلى غاية الأفهام، ولا يوصف بالرحمن إلا الله سبحانه وتعالى. قال محمد عبده: [والجمهور على أن الرحمن: المنعم بجلائل النعم، والرحيم: المنعم بدقائقها] وقد تكرر ﴿الرَّحْمَنِ﴾ فى القرآن نحو ٦٠ مرة ﴿الرَّحِيمِ﴾ فعيل من رحم، كثير الرحمة دائمُها، وقد تكرر فى القرآن أكثر من مائة مرة، وهو واهب الرحمة لخلقه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ المستحق لحمد كل البشر، دائمًا أبدًا، وهو رب كل شىء وخالقه ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ كما ذكرنا سابقًا ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ مالك يوم الحساب ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك، وفى الحديث: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» رواه الترمذى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ من علينا بفضلك وألهمنا ودُلَّنا على الطريق المستقيم ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ طريق الذين أنعمت عليهم بهداك ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ الذين بلغهم الحق من الله، فجحدوه ورفضوه، وأصبحوا بذلك يستحقون غضب الله، وقد ذكر القرآن من غضب الله عليه فى عدة آيات: البقرة: ٦١، ٩٠ ـ آل عمران: ١١٢ والآيات الثلاثة فى طائفة من اليهود ـ النساء: ٩٣ وهى فيمن يقتل مؤمنًا متعمدًا ـ المائدة: ٦٠ وهى فى طائفة من اليهود ـ الأعراف: ٧١ وهى فى عاد، ١٥٢ وهى فى طائفة من اليهود ـ الأنفال: ١٦ وهى فى المؤمن الذى يفر من القتال ـ النحل: ١٠٦ وهى فيمن يضلل مؤمنًا ويرده إلى الكفر ـ النور: ٩ وهى فيمن رماها زوجها بالزنا وكذبت فى يمينها بتبرئة نفسها ـ الفتح: ٦ وهى فى المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ـ الممتحنة: ١٣ وهى فيمن يئس من الآخرة ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ تعددت أقوال المفسرين، فمنهم من قال هم أحبار اليهود والنصارى الذين يحرفون اليهودية والمسيحية الحقة، وبذلك يضلون

ويضللون أتباعهم، استناداً للآية ٧٧ من سورة المائدة ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ والآية تتحدث إلى أهل الكتاب، وتنهاهم عن الغلو في الدين وعن اتباع أهواء قوم منهم، ضلوا وأضلوا كثيراً من الناس(١). وقسم محمد عبده الضالين إلى أربعة أقسام:

[القسم الأول: من لم تبلغهم الدعوة إلى الرسالة، أو بلغتهم على وجه لا يسوق (لا يدفع) إلى النظر... أما أمرهم في الآخرة، فعلى أنهم لن يساووا المهتدين في منازلهم، وقد يعفو الله عنهم، وهو الفعال لما يريد.

القسم الثاني: من بلغته الدعوة على وجه يبعث على النظر فساق همته إليه، واستفرغ جهده فيه، ولكن لم يوفق إلى الاعتقاد بما دُعي إليه، وانقضى عمره وهو في الطلب. أما صاحب هذه الحالة، فقد ذهب بعض الأشاعرة إلى أنه ممن ترجى له رحمة الله تعالى، وينقل صاحب هذا الرأي قوله عن أبي الحسن الأشعري، وعلى رأي الجمهور فلا ريب أن مؤاخذته أخف من مؤاخذة الجاحد الذي استعصى على الدليل وكفر بنعمة العقل أو رضي بحظه من الجهل.

القسم الثالث: من بلغتهم الرسالة وصدقوا بها بدون نظر في أدلتها ولا وقوف على أصولها، فاتبعوا أهواءهم في فهم ما جاءت به من أصول العقائد، وهؤلاء هم المبتدعة في كل دين، ومنهم المبتدعون في دين الإسلام.

القسم الرابع: ضلال في الأعمال وتحريف للأحكام عما وضعت له].

وقال المراغي: [والضالون هم الذين لم يعرفوا الحق، أو لم يعرفوه على الوجه الصحيح، وهؤلاء هم الذين لم تبلغهم رسالة، أو بلغتهم على وجه لم يستبن لهم فيه الحق، فهم تائهون

(١) جاء في سفر إرميا: «كيف تدعون أنكم حكماء ولديكم شريعة الرب بينما حولها قلم الكتبة المخادع إلى أكذوبة؟» ٨: ٨، وجاء في إنجيل متى أن المسيح (ﷺ) قال لأحبار اليهود: الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون! فإنكم تغلقون ملكوت السماوات في وجوه الناس، فلا أنتم تدخلون ولا تدعون الداخلين يدخلون... أهملتم أهم ما في الشريعة: العدل والرحمة والأمانة... أيها القادة العميان! أيها الحيات أولاد الأفاعي! كيف تفلتون من عقاب جهنم؟ الإصحاح ٢٣: ١٣-٣٣، وقال في إنجيل مرقس للصدوقيين: «ألستم في ضلال لأنكم لا تفهمون الكتاب ولا قدرة الله؟... فأنتم إذن في ضلال عظيم!» الإصحاح ١٢: ٢٤-٢٧، وجاء في إنجيل لوقا أنه قال لهم: الويل لكم يا علماء الشريعة؛ فإنكم تحملون الناس أحمالاً مرهقة... الويل لكم يا علماء الشريعة؛ فإنكم خطفتم مفتاح المعرفة، فلا أنتم دخلتم ولا تركتم الداخلين يدخلون - الإصحاح ١١: ٤٦-٥٢.

فى عماية لا يهتدون معها إلى مطلوب]. وجاءت كلمة ﴿ضَلَّ﴾ فى القرآن فى كثير من الآيات، منها: البقرة: ١٠٨ ـ النساء: ١١٦، ١٣٦ ـ المائدة: ١٢ ـ يونس: ١٠٨ ـ الكهف: ١٠٤ ـ النمل: ٩٢ ـ الأحزاب: ٣٦ ـ الصافات: ٧١ ـ الممتحنة: ١. بينما جاءت كلمة ﴿ضَلُّوا﴾ فى آيات كثيرة، منها: النساء: ١٦٧ ـ المائدة: ٧٧ ـ الأنعام: ١٤٠ ـ الإسراء: ٤٨ ـ طه: ٩٢. وذكر القرآن أيضًا ﴿ضَلَلْنَا﴾، ﴿أَضَلَّ﴾، ﴿يُضِلُّ﴾، وكلها مذكورة فى المعجم المفهرس لمحمد فؤاد عبد الباقى صفحات ٥١٨ ـ ٥٢١، وهى تشمل كافرين، وطائفة من أهل الكتاب، وتشمل أيضًا طائفة من المسلمين، وقد أفاض فى ذلك محمد عبده فى تفسيره.

***